من شعراء العقيدة

(1) الناشئ الصغير (ت 366 هـ)

محمد حسن محيي الدين

مقدمة

" هو ابو الحسن علي بن عبد الله بن الوصيف ، الناشئ الصغير الأصغر البغدادي من باب الطاق ، نزيل مصر المعروف بالحلاّء ، وكان ابوه يعمل حلية السيوف فسمي حلاّءً، ويقال له الناشئ :لأن الناشئ يقال لمن نشأ في فن من فنون الشعر ، كما قال السمعاني في الأنساب [1]

ديوانه

ليس للشاعر ديوان منشور ،ولا مخطوط ،وقصائده ــ بوجه عام ــ متوزعة بين عشرات المصادرالقديمة والحديثة التي تسوق البيت أوالبيتين أوالقصيدة لتستشهدها على معنى معين ،وقد حاول المرحوم الشيخ (محمد طاهر السماوي) جمع ديوانه ، وكان الرجل لا يألو جهدا في هذا السبيل ، الا ان ما خرج به من حصيلة لم يكن كبيرا وموفيا، زيادة على انه لم يذكرالمصادرالتي استقى منها شعر الناشئ ولم يشر كثير من الذين ترجموا للناشئ أو نقلوا نصوصاً من شعره الى وجود ديوان له ، وان اشارت بعض المصادر[2] الى ان الشاعر أملى شعره سنة(325 هـ)في مسجد الكوفة[3]

وذكرت مصادر اخرى[4] ان له ديواناً مجموعاً ولكنها لم تذكرشيئا عن مكان وجوده ، ولهذا فان البحث عن ديوان للشاعر يعود للحقبة التي عاش فيها ،او جمعه احد معاصريه ،امر لا جدوى منه ، وقيل ان نسخة منه موجودة في مركز دراسات الخليج العربي في البصرة ،بيد انها فقدت ولا وجود لها في الوقت الحاضر ، ولذلك فان مجموع الشيخ السماوي يبقى اهم المصادر التي يمكن الرجوع اليها والوصول عن طريقها الى شعر الناشئ الصغير ،وتوجد نسخة من هذا المجموع في مكتبة الحكيم العامةفي النجف الأشرف برقم (612)وافدنا من نسخة مصورة لها في نقل بعض نصوص هذا البحث .

---

[1] موسوعة الغدير، عبد الحسين الأميني،مؤسسة دار معارف الفقه الاسلامي، قم،1424 هـ:44/4 وانظر:الأنساب، للسمعاني(ت 562 هـ)تحقيق عبد الله عمر البارودي،ط1،دار الجنان، بيروت،1408هـ/1988م :445/5 .

[2] انظر:معجم الأدباء،ياقوت الحموي(ت 626 هـ)، دار المأمون(د.ت):290/13.ووفيات الأعيان،ابن خلكان (ت681 هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد،ط1،مكتبة النهضة،القاهرة،1948 :52/3

[3] وهو أمر فيه تأمل فان هذا التاريخ يشير الى انه املاه قبل احدى واربعين سنة من وفاته ، وهي حقبة لابد من ان تكون حافلة بعدد كبير من القصائد وتمثل مرحلة النضج الفني للشاعر ، فالمترجح انه املى بعض قصائده في ذلك التاريخ .

[4] انظر تاريخ الاسلام ،للذهبي،(ت748هـ)تحقيق د.عمر عبد السلام تدمري،ط1،دار الكتاب العربي،لبنان،1407هـ/1987:26/347 والوافي بالوفيات،للصفدي (ت764هـ)تحقيق احمد الارناؤوطي وتركي مصطفى ، دار احياء التراث العربي ، بيروت،1420هـ/2000م:21/133 و: الذريعة من تصانيف الشيعة،أغا بزرك الطهراني (ت1389 هـ)ط3،دار الأضواء،بيروت،(د.ت):9ق3/745 .

كتب هذا المجموع بخط الشيخ السماوي ويتكون من (16) صفحة من الحجم المتوسط تحتوي كل صفحة من 23ــ27 سطرا ، كتب على الصفحة الاولى (ديوان علي بن عبد الله بن وصيف الناشئ الصغير المتوفى سنة 366 هـ).

ويعد (اعيان الشيعة)مصدرا مهما من مصادر شعر الناشئ ، فقد ترجم له في الجزء الثاني عشر من الموسوعة وخصه بست صفحات احتوت بعضا من قصائده ومقطوعاته ، وبعض ما فيه من شعر لم يرد في المجموع الذي مر ذكره .

وترجم للشاعر صاحب موسوعة الغدير في الجزء الرابع منها وذكر بعضا من قصائده وهناك مصادر اخرى تاتي في المرتبة الثانية من الاهمية ، تجدها في قائمة مصادر البحث.

شعره

لا يخرج شعر الناشئ الصغير عن الطابع العام لشعر عصره فنيا ، وان بدا ذا عبارة جزلة وصورة فنية لا تخلو من ابداع ، ولا سيما في مقطوعاته .

والقت ثقافة الشاعر الكلامية ظلالها على شعره، فاتسم بالمحاكمة التي هي اقرب الى العقل ، التي تعتمد على سوق الادلة من كتاب وسنة في اثبات ما يدعو له ويؤمن به .

اما من حيث الموضوعات فقد جاء في المركز الأول من موضوعات شعره ذلك الموضوع الذي استحوذ على كل تفكيره وكان اثيرا لديه ، وهو دفاعه المتماسك عن عقيدته في اهل بيت النبوة عليهم السلام.وولاؤه الصادق الذي لا ينفك يعلنه في كل قصائده ، وارتكازه على الروايات التي يستند اليها الداعون الى ولايه اهل البيت عليهم السلام

ثقافته وعقيدته

تضلع في النظر في علم الكلام وبرع في الفقه ، ونبغ في الحديث ... وكان في الطليعة من علماء الشيعة ومتكلميها ومحدثيها وفقهائها وشعرائها .

روى عنه الشيخ المفيد ، وبوساطته يروي عنه شيخ الطائفة ابو جعفر الطوسي[1] وقيل انه كان من مشائخ الشيخ الصدوق[2] ...وذكر ان آخرين رووا عنه منهم: ابو عبد الله الخالع ، وابو بكر بن زرعة الهمداني ، وعبد الواحد العكبري وعبد السلام بن الحسن البصري اللغوي ، وابن فارس اللغوي ، وعبد الله بن احمد بن محمد بن روزبة الهمداني وغيرهم [3] وانه يروي عن المبرد وابن المعتز وغيرهما.

وذكر انه اخذ العلم عن ابي سهل اسماعيل بن علي بن نوبخت وهو من اعاظم متكلمي الشيعة[4] .

---

[1] فهرست الشيخ الطوسي (ت460 هـ)تحقيق جواد القيومي ،ط1،مؤسسة نشر الفقاهة ،ايران، 1417 هـ: برقم (373) وانظر رجال ابي داود السجستاني(ت275هـ)،تحقيق سعد محمد اللحام ،ط1،دار الفكر ، بيروت، 1410 هـ/1990م:برقم(1097)وفيهما انه ابو الحسين بدلا من ابي الحسن.

[2] انظر:رياض العلماء:137/4..

[3] انظر: الوافي بالوفيات:203/21 ولسان الميزان،ابن حجر العسقلاني (ت852هـ) ط1،مؤسسة الأعلمي،بيروت،1330هـ:274/4 برقم(5850).

[4] وفيات الأعيان:369/3.

ومن الغريب ان الشيخ الطوسي قال عنه انه كان يتكلم على مذهب اهل الظاهر في الفقه[1]

" وفي رجال النجاشي : ان للمترجم كتابا في الامامة ، لكن الشيخ الطوسي يذكر له كتبا في الفهرست ، وفي الوفيات : ان له تصانيف كثيرة ، وفي الوافي بالوفيات : ان شعره مدون ، وان مدائحه في اهل البيت عليهم السلام لا يحصى كثرة.ولذلك عده ابن شهرآشوب في معالم العلماء من مجاهري شعراء اهل البيت عليهم السلام"[2] .

وقال عنه ياقوت الحموي[3]: قال الخالع:كان الناشئ يعتقد الامامة ويناظر عليها باجود عبارة ، فاستنفد عمره في مديح اهل البيت عليهم السلام حتى عرف بهم ، واشعاره فيهم لا تحصى كثرة ... وقال:قال ابن عبد الرحيم : حدثني الخالع قال: حدثني الناشئ قال:ادخلني ابن رائق على الراضي بالله ــ وكنت مداحا لابن رائق ونافقا عليه ــ فلما وصلت الى الراضي قال لي: انت الناشئ الرافضي ؟فقلت:خادم امير المؤمنين الشيعي .فقال: من اي الشيعة ؟فقلت: شيعة بني هاشم .فقال :هذا خبث حيلة . فقلت: مع طهارة مولد . فقال: هات ما معك .فأنشدته فأمر ان يُخلع علي عشر قطع وأُعطى اربعة آلاف درهم ، فاخرج اليّ ذلك وتسلمته وعدت الى حضرته فقبلت الارض وشكرته وقلت: انا ممن يلبس الطيلسان . فقال: ها هنا طيالس عدنية اعطوه منها طيلسانا واضيفوا اليه عمامة خز ، ففعلوا. فقال: انشدني من شعرك في بني هاشم فأنشدته:

بني العباس ان لكم دماءً أراقتها أميّة بالذحول

فليس بهاشمي من يوالي أميّة واللعين أبا زبيل

فقال: ما بينك وبين أبي زبيل؟ فقلت: أمير المؤمنين أعلم . فابتسم وقال: انصرف[4] .

وروى الحموي ايضا[5] قال:حدثني الخالع فقال: كنت مع والدي في سنة ست واربعين وثلثمئة وانا صبي في مجلس الكبوذي في المسجد الذي بين الوراقين والصاغة ، وهو غاص بالناس ، واذا رجل قد وافى وعليه مرقعة وفي يده سطيحة وركوة[6] ومعه عكاز، وهو شعث ، فسلم على الجماعة بصوت يرفعه ثم قال:

انا رسول فاطمة الزهراء (عليها السلام) فقالوا : مرحبا بك وأهلا ورفعوه فقال: اتعرّفون لي أحمد المزوق النائح؟ فقالوا هاهو جالس .فقال رأيت مولاتنا عليها السلام في النوم فقالت لي : امض الى بغداد واطلبه وقل له : نح على ابني بشعر الناشئ الذي يقول فيه :

---

[1] انظر فهرست الشيخ الطوسي:برقم (373).

[2] الغدير: 46/4 وانظر : رجال النجاشي، احمد بن علي النجاشي(ت450 هـ) تحقيق محمد جواد النائيني ،ط1،دار الأضواء ، بيروت ، 1988م : برقم(709) و معالم العلماء، ابن شهر آشوب المازندراني (ت588هـ)\المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف، 1961م:14.

[3] معجم الأدباء: 13/ 281.

[4] انظر:معجم الادباء،283/13 وقاموس الرجال فيتحقيق رواة الشيعة ومحدثيهم، محمد تقي التستري ،المطبعة العلمية،قم،1384هـ:77/7 ومواقف الشيعة' علي الاحمدي الميانجي، ط1،مؤسسة النشر الاسلامي،قم،1416هـ:329/2 ، ولا يخفى ما في رده بـ(خادم امير المؤمنين)من اشارة الى من يعتقد انه احق بهذا اللقب والتسمية من غيره.

[5] معجم الادباء:292/13 وانظر: الغدير:46/4ــ47.

[6] الركوة:اناء صغير من جلد يشرب به الماء والسطيحة:المزادة تكون من جلدين لا غير .انظر: المعجم الوسيط:372/1.

بني احمد قلبي لكم يتقطّع بمثل مصابي فيكم ليس يسمع

وكان الناشئ حاضرا ، فلطم لطما عظيما على وجهه وتبعه المزوق والناس كلهم ، وكان اشد الناس في ذلك الناشئ ثم المزوق ، ثم ناحوا بهذه القصيدة في ذلك اليوم الى ان صلى الناس الظهر ، وتقوض المجلس وجهدوا بالرجل ان يقبل شيئا منهم فقال: والله لو اعطيت الدنيا ما أخذتها ، فانني لا ارى ان اكون رسول مولاتي (عليها السلام) ثم آخذعن ذلك عوضا ، وانصرف ولم يقبل شيئا.

ومن هذه القصيدة :

بني احمد قلبي لكم يتقطع بمثل مصابي فيكم ليس يسمعُ
فما بقعةٌ في الارض شرقا ومغربا وليس لكم فيها قتيلٌ ومصرعُ
ظُلمتم وقُتّلتم وقُسّم فيؤكم وضاقت بكم ارض فلم يحمِ موضع
جسومٌ على البوغاء ترمى وأرؤسٌ على أرؤس اللدن الذوابلِ ترفعُ[1]
عجبتُ لكم تفنون قتلا بسيفكم ويسطو عليكم من لكم كان يخضعُ
تواورون لم تأو فراشا جنوبكم ويسلمني طيب الهجوع فأهجعُ
كأن رسول الله اوصى بقتلكم وأجسامكم في كل ارض توزّعُ[2]

وقال الحموي ايضا: حدثني الخالع قال: اجتزت بالناشئ يوما ، وهو جالس في السراجين فقال لي: قد عملت قصيدة وقد طُلبت واريد ان تكتبها بخطك حتى اخرجها فقلت: أمضي في حاجة واعود ، وقصدت المكان الذي اردته وجلست فيه ، فحملتني عيني فرايت في منامي أبا القاسم عبد العزيز الشطرنجي النائح ، فقال لي : احب ان تقوم فتكتب قصيدة الناشئ البائية فانّا قد نحنا بها البارحة بالمشهد ، وكان هذا الرجل قد توفي وهو عائد من الزيارة ، فقمت ورجعت اليه وقلت : هات البائية حتى أكتبها، فقال : ومن اين علمت انها بائية ؟ وما ذاكرت بها احدا ؟ فحدثته بالمنام فبكى وقال: لا شك ان الوقت قد دنا فكتبتها فكان اولها:

رجائي بعيدٌ والمماتُ قريبُ ويخطئ ظنّي والمنون تصيبُ

ومنها:

أناس علوا اعلى المعالي من العلى فليس لهم في الفاضلين ضريبُ
اذا انتسبوا جازوا التناهي بمجدهم فما لهم في العالمين نسيبُ
هم البحر اضحى درّه وعبابه فليس له من منتقيه رسوبُ
تسير به فلك النجاة وماؤها لشرّابه عذب المذاق شروبُ
هو البحر يغني من غدا في جواره وساحله سهل المجال رحيبُ
همُ سبب بين العباد وربهم محبهمُ في الحشر ليس يخيبُ
حووا علم ما قد كان او هو كائنٌ وكل رشاد يحتويه طلوبُ
وقد حفظوا كل العلوم بأسرها وكل بديع يحتويه غيوبُ

---

[1] البوغاء: التراب الناعم، اللدن الذوابل:الرماح.

[2] انظر: الغدير: 48/4 ..

همُ حسنات العالمين بفضلهـــم وهم للأعادي في المعـــاد ذنوبُ[1]

ومن الملامح الفنية لشعره :

اولا: كثرة الاقتباس من القرآن الكريم: وقد يتنوع الاقتباس في شعره ، فمرة يقتبس نصوصا ومرة يتصرف فـــي تلك النصوص ، وفي كلا الحالين تجده يبرع في ذلك الاقتباس ولا تحس انه يقحمه اقحاما متكلفا ومن ذلك:

1. اقتبس من قوله تعالى (فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم) (البقرة37) فقال:

هم الكلمات للاسماء لاحت لآدم حين عزّ له المتابُ[2]

وقال في المعنى نفسه :

يا كلمات لولا تلقنـــها آدم يوم المتاب ما قبلا[3]

2.ومن قوله تعالى(عمّ يتساءلون * عن النبأ العظيم) (النبأ 1و2) اقتبس فقال:

همُ النبأ العظيم وفلك نوح وباب الله وانقطع الخطابُ[4]

3.واقتبس مما ورد في سورة (الانسان)في قوله تعالى(هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) مستلهما الايات التي يرى غالب المفسرين انها نزلت في فضل علي بن ابي طالب (عليه السلام) في واقعة محددة يذكرونها ، فقال من قصيدة نذكر منها الآتي

استمع ما اتى به جبرئيـــــــــلُ أحمدَ المصطفى النبي النذيـــرا
يوم صـــــام الوصيّ والأهـــل لله تعالى يوفون منـــــــهم نذورا
وهبوا في طعامهم ذلك اليـــــو م يتيما ومؤســـرا وفقيـــــرا
فتلا هل اتى على الانســـان ذا حين من الدهر لم يكن مذكـــورا
وابتدا نطفة هنـــــالك أمشـــا جا غدا بعدها سميعا بصيـــرا
وهـــدى نســـله فاصبح إمّـــا شـــاكرا مؤمنا وامّا كفـــورا
ان الابرار يشـــــربون بكأس كان فيهـــم مزاجهـــا كافـــورا
وهي عين تجري بقدرة بـــار فجّـــرتها الطافه تفجيـــرا
اذ وفوا نذرهم يخافون يومـــا في غـــد كان شـــرّه مستطيرا
يطعمون الطعام في حبـــه الـــ مسكين ثم اليتيم ثم الأســـيرا
اطعموهم لله لم يبتغـــوا منـــ هم جزاءً ولم يريدوا شكـــورا

ويستمر في روايته للقصة كما وردت في القرآن الكريم الى ان يقول:

ان هـــذا هو الجزاء مـــن الله وقد كان سعيهـــم مشـــكورا

---

[1] المجموع الشعري:ص2.

[2] م.ن:ص6 .

[3] الغدير:4/49.

[3] م.ن:ص3 والمعروف ان باب الله لقب من القاب الامام امير المؤمنين عليه السلام.

وصـــــــلاة الاله تترى عليهـــم فأصيلا تعتادهم وبكـــــــــورا

وانت ترى ان الاقتباس يبدو وكأنه نقل مفردات النص القرآني ونظمها نظما يستلهم النص والمعنـــى ، بنسج ينتقي انتقاء لما يناسب لغة الشعر التي يعد من ابرز سماتها البحث عن المعنى من خلال اللمح الخـــاطف ، بلغة تقوم على الانتقاء لأداء المعنى بلا ترهل .

4.ومما اقتبسه من النص القرآني ما ورد في آية المباهلة في قوله تعالى (فمن حاجك فيه من بعد ما جـــاءك مـــن العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) (آل عمران/61) .فقال مستلهما النص والمعنى في قصيدة مطلعها:

ألا ان خير الخلق بعد محمـــــــد علي الذي بالشمس أزرت دلائله

يقول فيها:

وخلصان ربّ العرش نفس محمد وقد كان من خير الورى من يباهله

ومر في القصيدة على قصة تكسير الاصنام يوم الفتح فقال:

إمام علا من خاتم الرسل كاهلا وليس علي يحمل الطهر كاهلـــــه

ولكن رسول الله علاه عامـــــدا على كتفيـــــه كي تناهى فضائلـــه

أيعجز عنه من دحا باب خيبـــر وتحملـــــــه أفراسه ورواحلـــــــه

فشرّفه خير الأنام بحملـــــــه فبورك محمول وبورك حاملـــــــه

ولمّـــــا دحا الأصنام أومى بكفّـــه فكاد تنـــــال النجم منه اناملـــــــه

وذلك يوم الفتح والبيت قبلـــــــه ومن حولـــــه الأصنام والكفر شامله

5.ويستلهم من آية التطهير فيقتبس من قوله تعالى فيها (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهـــركم تطهيرا) (الاحزاب/33) فيقول:

همُ أظهروا الاسلام بالسيف والقنا وهم طُهّروا فالرجس والاثم ذاهب

6.ولم يفته ان يضمن في شعره معاني يستلهمها من الحديث الشريف ، من ذلك الاشارة الى وقائع يرويها اتبـــاع منهج اهل البيت ويرون فيها مناقب وادلة على احقية الامام علي (عليه السلام) بالولاية والخلافـــة ، ومـــن ذلـــك حديث المنزلة المشهور في قول النبي(صلى الله عليه واله) لعلي (عليه السلام): (انت مني بمنزلة هارون مـــن موسى الا انه لا نبي بعدي) [1] فقال:

ألم ترض انا على رغمـــــــهم كموسى وهارون اذ وافقوكا

وانت الخليفة في دعـــــوة الـــ عشيرة اذ كان فيهم أبوكـــــا[2]

7. وضمن قول الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) في حديث الولاية (من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهـــم وال من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله) [3] ففي قصيدة مطلعها:

ياآل ياسين من يحبكـــــــمُ بغير شـــــك لنفسه نصحـــــا

---

[1] انظر في تخريج الحديث: صحيح مسلم (ت261هـــ)، دار الفكر ، بيروت، (د.ت):120/7 وغيره.

[2] المجموع الشعري:ص4.

[3] انظر:سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني(ت273هـــ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي،دار الفكر(د.ت):45/1.

قال:

من كنت مولاه فالوصي لـــــه مولى بوحي من الإله وحـــــى
فبخبخوا ثم بايعـــــوه ومــن يبايع الله مخلصـــــا ربحـــا[1]

8. وضمّن قول الرسول (صلى الله عليه وآله) : (علي قسيم الجنة والنار) [2] قصيدة مطلعها:

ألا يا آل ياسيـــــن وأهل الكهف والرعـــد
هو الحامل في الحشـــــر بكفّيـــــه لوا الحمـــد
قسيم النار والجنّـــــــة بين النـــــدّ والضـــدّ
فما لابن ابي طالب المفـــــــــــضال مـــــن نـــــــدّ

9. ولم يفته الحديث المشهور عن الرسول (صلى الله عليه وآله) في قوله : (انا مدينة العلم وعليٌّ بابها ، فمــن اراد المدينة فليأت الباب) [3] فضمنه قصيدته التي مطلعها:

الا ان خير الخلق بعد محمد علي الذي بالشمس ازرت فضائله

فقال مادحا امير المؤمنين (عليه السلام):

وباب غدا فينا لخير مدينـــــة وحبل ينال الفوز في البعث واصلهْ
وعيبة علم الله والصادق الــذي يقول بمر القول ان قال قائلـــــــهْ
عليـــمٌ بما لايعلم الناس مظهـــرٌ من العلم مَن كل البرية جاهلـــــهْ

10. وضمّن الحديث الشريف : (المهدي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا) [4] في قصيدته التـــي مطلعها:

يا آل ياسين ان فخركم صيّر كل الورى لكم خولا

فقال يمدح اهل بيت النبوة ذاكرا الامام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) :

آمنت فيمن مضى بكم وقضى وبالذي غاب خائفا وجـــلا
وهو بعين الله العلي يـــرى ما صنـــع المختفي وما فعلا
ويؤمنُ الارضَ مِن تزلزلها اذ كان طودا لثبتها جبـــــلا
حتى يشاء الباري فيظهـره للقسط والعـــدل خير من عدلا
يا غائبا حاضرا بأنفسنـــا وباطنا ظاهرا لمن عقـــــلا[5]

*****

---

[1] المجموع الشعري: 10.

[2] انظر : ينابيع المودة ، القندوزي الحنفي(ت1294هـ)تحقيق علي جمال اشرف ،ط1،مطبعة الاسوة،1416هـ:1/173 وغيره.

[3] المعجـــم الكبـــير للطـــبراني (ت360هـــ)تحقيق حمـــدي عبـــد الحميـــد الســـلفي ،ط2،دار احيـــاء التـــراث العربي،بيروت،(د.ت):11/55.وينظر:الجامع الصغير للسيوطي(ت911هـ)ط1، دار الفكر، بيروت،1401هـ/1981م:1/415 رقم الحديث:2705.

[4] سنن ابي داود :2/311.

[5] المجموع الشعري:ص8.

ومن اللافت في شعر الناشئ الصغير انه كان يتقصّى الروايات التي تتحدث عن فضائل أهل البيت (عليهم السلام) فيذكرها في شعره ويسهب في الحديث في تفاصيل الرواية ومن ذلك :

1.قصة الاعداء الذين وضعوا افعى في خف امير المؤمنين (عليه السلام) وحين اراد لبس الخف حطّ غرابٌ فأخذ الخفّ وطارَ به وشوهدت الافعى وهي تسقط منه فيروي القصة بتفاصيلها الدقيقة وكأنه في سبيل التدوين التاريخي للحادثة من دون ان يغفل الجانب الفني في قصيدته المشهورة التي مطلعها:

بآل محمد عرف الصوابُ وفي ابياتهم نزل الكتابُ

فقال في تفصيل القصة :

ومن في خفه طَرَحَ الأعادي حبابا كي يلبّسه الحبابُ[1]

فحين اراد لبس الخفّ وافى يمانعه عن الخف الغرابُ

فطار به وأكفاه وفيه حباب في الصعيد له انسياب

2.وفي القصيدة نفسها يتناول قصة الثعبان الذي دخل جامع الكوفة حين كان امير المؤمنين (عليه السلام) يخطب ، وناجى امير المؤمنين وخرج[2] فيقول:

ومن ناجاه ثعبان عظيمٌ بباب الطهر القته السحاب

رآه الناس فانجفلوا برعب واغلقت المسالك والرحابُ

فلما ان دنا منه عليٌّ تدانى الناس واستولى العجابُ

فكلمه عليٌّ مستطيلا وأقبل لايخاف ولا يهابُ

ودنّ لحاجر وانساب فيه وقال وقد تغيّبَهُ التراب[3]

انا ملك مُسِخْتُ وانت مولى دعاؤك إن مننت به يجابُ

أتيتك تائباً فاشفع الى من اليه في مهاجرتي الإيابُ

فأقبلَ داعيا وأتى أخوه يؤمن والعيون لها انسكابُ

فلمّا أن أجيبا ظلّ يعلو كما يعلو لدى الجو العقابُ

وأثبت ريش طاووس عليه جواهر زانها التبر المذابُ

يقول لقد نجوت بأهل بيت بهم يُصلى لظىً وبهم يُثابُ

---

[1] الحباب: الحيّة.

[2] يروى ان الامام علي(عليه السلام) كان يخطب على منبر جامع الكوفة ، فظهر ثعبان فرقى المنبر وخاف الناس،وارادوا قتله فمنعهم الامام عليه السلام فنقّ الامام في اذنه كما نقّ الثعبان في اذن الامام ومن ثم نزل وانسلّ، وسأل الناس الامام عنه فقل :انه رسول الي جاءني في حاجة التبست عليه ،فكان اهل الكوفة يسمون الباب الذي خرج منه الثعبان (باب الثعبان)واراد بنو امية طمس هذه الفضيلة فوضعوا فيلا وسمي (باب الفيل) وقيل سمي باب القتلى لأنهم نصبوا قتلى على ذلك الباب (انظر: الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي(ت573هـ)ط1،مؤسسة الامام المهدي ،قم،1409هـ:189/1 وانظر: منهاج السنة،ابن تيمية (ت661هـ)تحقيق محمود رشاد سالم،ط1،مؤسسة قرطبة،بيروت،1406هـ:202/8 .وانظر :تاريخ الكوفة للسيد البراقي(ت1332هـ)تحقيق ماجد أحمد العطية،ط1،شريعة،ايران،1424هـ:59.

[3] دنّ:طأطأ وانحنى، والحاجر: الآرض المرتفعة ووسطها منخفض.

همُ النبأ العظيم وفلك نــوح وباب الله وانقطع الخطــابُ[1]

ومن الضروري الوقوف عند امور في هذه القصيدة :

1.الاختلاف في نسبتها ، فقد نسبها بعضهم الى عمرو بن العاص[2]ونسبت بعض ابياتها الى ابن الفارض، فــي حين أشارت مصادر كثيرة الى انها للناشئ [3].

ويرى صاحب الغدير " ان لجملة من الشعراءقصائد علوية على هــذا البحـــــر والقافيــة مبثوثــة بــين الناس،وربما حرفت ابيات منهاعن مواضعها فأدرجت في قصيــدة الآخر ، كما انك تجد من شعر الناشــئ فــي خلال ابيات السوسي المذكورة في مناقب ابن شهر آشوب، وكذلك ابياتا من شعر ابن حماد في خلال ابيات العوني ... وبذلك ا شتبــه الحال على الرواة فعزي الشعر الى هذا تارة والى ذاك أخرى ".(5)

2.ويلمح في القصيدة فن شعري ،فيه نوع من الجدّة والطرافة وهو فن تضمين الشعر فنا قصصيا ، ذلك ان القارئ لا يصعب عليه ان يلمح فن القصة في القصيدة واضحا .

3. وقد شـــــاعت هذه القصيدة وتناقلها الناس ، وبقي الإعجاب بها الى عصور متأخرة فقد خمسها الشاعر الشيخ محمد علي الأعسم (ت 1233 هــ) واول تخميسه :

بنو المختار هـــــم للعلم باب لهم في كل معضلة جـــــوابُ

اذا وقع اختلاف واضــطراب بآل محمد عرف الصــــــوابُ

وفـــــــي ابياتهم نزل الكتابُ[4]

*****

ومن لطيف لفتاته قوله في الحجاب[5] ويقصد به حجب الملوك عن زائريهم وهو مهمة الحاجب:

ليس الحجاب بآلة الأشـــــــرافِ ان الحجاب مجانب الإنصـــــــافِ

ولقلّ من يأتي فيحجب مـــــــرّةً فيعـــــــود ثانية بقلب صـــــــافِ

وفي المعنى نفسه أو قريب منه قوله:

اذا انا عاتبتُ الملوكَ فانّمـــــــا أخطّ بأقلامي على الماء أحـــــــرُفا

وهَبْهُ ارعوى بعد العتاب ألم يكن تودّده طبعـــــأ فعـــــاد تكلفــا[6]

وقال يصف الثـــــــريّا :

وليل توارى النجم من طول مكثه كما ازورّ محبوب لخـــــوف رقيبه

---

[1] انظر : مجموع الشيخ السماوي:2-3 والغدير:4/41-42.

[2] انظر:الإكليل ،ابو محمدالحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني(ت334هــ) وانظر :تحفة الأحباء في مناقب آل العباء، جمال الدين الشيرازي (ت476هــ) ذكر ذلك صاحب خلاصة عبقات الأنوار، السيد حامد النقوي،:4/203 والغدير:4/43.

[3] منها:معجم الأدباء:13/290 ، وفيات الأعيان:3/52 ،مرآة الجنان :2/251 ،مناقب آل ابي طالب:4/301، نسمة السحر في من تشيع وشعر:2/409 ، وأيدهم صاحب الذريعة:17/88. (5) الغدير:4/44

[4] الغدير:4/44

[5] يتيمة الدهر : 1/248 ، اعيان الشيعة:12/382،والغدير:4/45 (باختلاف يسير).

[6] يتيمة الدهر:1/248والإعجاز والإيجاز للثعالبي:217و خاص الخاص(له):197.

كأنّ الثريّا فيـــه باقةُ نرجـــسٍ يجيء به ذو صـــبوةٍ لحبيبـــه[1]

وقال:

بكت للوداع فقد رابنـــي بكـــاء الحـــبيبِ لبعـــد الديارْ

كأنّ الدموع على خـــدّها بقيـــة طـــلٍّ على جلنلـــار[2]

وقال(وقد اختلف في نسبتها):

ووردة في بنان معطـــارِ حيّا بها في خفي اســـرارِ

كأنها وجنة الحبيب وقـــد نقّطها عاشق بدينـــارِ[3]

وقال:

ومن ظـــنّ ان الرزق يأتي بمطلبٍ فقد كذّبته نفســـه وهو آثـــم

يفوت الفتى من لا ينام عن الســـرى وآخر يأتي رزقه وهو نـــائمُ[4]

وقال في وداع سيف الدولة:

أودع لا انّـــي أودع طائعـــاً واعطي بكرهي الدهرَ ما كنتُ مانعا

وارجع لا الفي سوى الوجد صاحبا لنفسي ان الفيتُ بالنفس راجعـــا

تحمّلت عنّـــا بالصنائع والعـــلا فنستودع الله العـــلا والصنائعـــا

رعاك الذي يرعى بسيفك دينـــه ولقّاك روضَ العيش أخضرَ يانعـــا[5]

شـــعره في العقيـــدة:

يبين شعر الناشئ الصغير ،بما لا يدع مجالا للشك، عمق عقيدته وايمانه الراسخ بحق أمير المؤمنين (عليه السلام)في الولاية بنص النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة من بعده ، ولا يترك الشاعر فرصة تفوته مـــن دون ان يوظف شعره في بث عقيدته بهم،ويجنح احيانا الى سوق الأدلة والروايات المشهورة في ذلك في شـــعره ومن ذلك:

---

(1) انظر:معجم الادباء:294/13 والوافي بالوفيات:135/21 ومعاهد التنصيص:19/2 وأعيـــان الشـــيعة:382/12 وتـــاريخ الأدب العربي،عمر فروخ:514/12.

(2) معجم الادباء:294/13.

(3) انظر:بدائع البداءة،علي بن ظافر الاسدي(ت613هـــ)تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم مكتبة الانجلو المصرية ،القـــاهرة،1977م:108 وقد نسب البيتين(مع اختلاف يسير)الى ابي طالب الرقي،وانظر:يتيمة الدهر:299/1 وحســـن المحاضـــرة في تـــاريخ مصـــر والقـــاهرة ،للسيوطي،تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم،ط1،دار احياء الكتب العربية ، القاهرة،1387هـــ/1968م:404/2، ونسب البيت الثاني لابن الرومـــي (انظر:مطـــالع البـــدور:45/11)ولم يـــرد في ديـــوان ابـــن الـــومي (انظر:ديوانه،شـــرح قـــدري مـــابو ،ط1،دار الجيل،بيروت،1418هـــ/1998م:مج3، قافية الراء

(4) اعيان الشيعة:379/12

(5) انظر: يتيمة الدهر:248/2ووفيات الاعيان:52/3واعيان الشيعة:382/12(باختلاف يسير) وقد توهم ابن خلكان بان المسافر هـــو الناشئ، في حين ان المسافر هو سيف الدولة.

1–قولـــــــــــه:

الا لا تلمني في ولائي ابا الحســـــن فما تابع حقا يلام على الزمـــــــــنْ

احبّ أمير المؤمنين محبّـــــــــــةً جرت في عروق القلب والرأس والبدنْ[1]

2–هو لايخفي ولاءه لمنهج اهل البيت ، ومن شواهد ذلك موقفه مع الراضي[2]

3–في النماذج التي ذكرت آنفاً من شعره دليل على عقيدته ولاسيما قصيدته المشهورة:

بآل محمد عرف الصـــــواب وفي ابياتهم نزل الكتابُ ...الخ

4–وقوله في أهل البيت (عليهم السلام) :

آل النبي ومن كآل محمـــــــدٍ قد ذلّ شانيها وعُظّمَ شـــــانها

قومٌ كأقمار البروج منيـــــــرة في برج ثاني العشر تمّ قرانها

ومنازل القمر المنير عليهـــــمُ سعد السعود وغيرهم دبرانها[3]

شرفت بوطئهم البقاع فان علوا قللَ المنابرشـــــرفت عيدانها

سل عنهم الليل البهيم فانهـــــم في كلّ حندس ليلة رهبـــانها

فاذا بدا ضوء النهارفانهـــــــم صوّامه ولدى الوغى فرسانها

وهمُ سقاة الحوض في الأخرى وفي ايديهم نيرانهـــــا وجنانهـــــا[4]

*****

ولابد لدارس شعر الناشئ الصغير وحياته من ان يخرج بنتيجة تؤكد امرين هما:

1–قِدَم مجالس العزاء التي تقام على ابي عبد الله الحسين (عليه السلام).

2–ان بعض قصائد الناشئ وضعت قصدا لكي تنشـــــــد في مجالس العزاء والنوح هذه . ولتأكيد ذلك نســـوق شواهد تؤكد هاتين الحقيقتين:

** ففي تاكيد قدم مجالس النوح والعزاء على ابي عبد الله الحسين (عليه السلام) وانها اقدم مما يقال من ا ن اول من اشاعها بين الناس بنو بويه نذكر:

ما نقله الحموي عن الخالع[5] فيما وقع في مجلس الكبوذي

وقصيدته التي مطلعها:

أما شجـــــاك ياسكن قتل الحسين والحسن

ظمآن من فرط الحزن وكلّ وغـــــــدٍ ناهلِ

توحي ، في غالب الظن ، انها مما يناح به في المآتم، يقول فيها:

---

[1] المجموع الشعري:13.

[2] الراضي:هو ابو العباس محمد بن جعفر بن المعتصم بالله ،خليفة عباسي(حكم 322ــ329 هـــ)،كانت ايامه ايام ضعف امتنع فيهـــا امراء البلاد عن طاعته،حاول اصلاح الامر فعجز(انظر:الاعلام:71/6) وقد مرّ ذكر ذلك.

[3] هذا البيت وسابقه يدلان دلالة واضحة على المنهج الاثنا عشري الامامي الذي يؤمن به الشاعر ، بمالا يدع مجالا للشك.

[4] انظر في مصادر هذه الابيات: اعيان الشيعة:381/12و مناقب آل ابي طالب:369/1.

[5] الخالع:احد الخلفاء العباسيين ، وقد مر ذكر الرواية في البحث.

يقول يا قوم أبـــــي عليّ البَرّ الأبـــــي
وفاطم بنت النبـــي أمّـــي وعني سائلو
مُنّوا على طفلي بمـــا فقد ظرا فيه الظمـــا
ولم يكن قد أجرمـــأ حيث الفرات ســـائلُ
قالوا فلن يرتويـــــا فان تجيء مستجديـــأ
فانزل بحكم الأدعيـــا فقال بل اناضـــــلُ
واجمعوا لختلـــــهِ واعصوصبوا لقتلـــه
وذبحـــــه معْ طفله فاستنت المناصـــــلُ[1]

نتائج البحث

1. لم يحض الناشئ الصغير بما يستحقه من اهتمام الدارسين لأسباب يقف في مقدمتها التعصب الاعمى والرغبة في تجاهل الراي الاخر، في حين حضي شعراء اقل اهمية بدراسات اكاديمية وغير اكاديمية.
2. يبقى شاعر العقيدة لسانا معبرا عن الايمان بعقيدته والتزامه بها ، برغم الظروف المحيطة به والعوامل التي تحاول محاربة الفكر الملتزم.
3. اظهر شعره تاثرا كبيرا بالثقافة القرآنية والكلامية التي عرف بها ، ولم يؤد ذلك الى تحيف الناحية الفنية في شعره.
4. ظهور ملامح فن قصصي واضح في شعر الناشئ الصغير فقد كان يتحرى تفاصيل القصة التي يسوقها من خلال دفاعه عن عقيدته .
5. اهمية الشعر في انه وثيقة بالغة الاهمية في الدعوة الى عقيدة ما ، وان الشاعر المؤمن بعدالة قضيته لا يهاب احدا ، ولا يعدم ان يجد السبيل الفني للدفاع عنها .
6. بينت الدراسة قِدَم مجالس العزاء والنوح على الحسين (عليه السلام) وانها اقدم مما يحاول دارسون نسبته الى سيطرة العنصر البويهي على مقاليد الدولة ، وثبت ان البويهيين لم يبتدعوا مجالس العزاء هذه ، وانما وجدوها قد نشأت ونمت مستفيدة من ضعف قبضة السلطة العباسية الجائرة ، فصارت لها مجالس معروفة تقام في العلن يؤمها الناس وابناء الخلفاء .
7. بينت الدراسة حاجة كثير من شعراء العقيدة الى تسليط اضواء البحث والدراسة على ادبهم للكشف عن فنهم وما يحمل من افكار تشع بالعقيدة الراسخة وتدلل على صلابة هذه العقيدة في نفوس الشعراء ، بعكس ما يرى بعض الدارسين ان ولاء الشاعر تابـــع لمصلحته وهواه ، وهذا الحكم وان كان منطبقا على كثير من الشعراء العرب ولاسيما المداحون، الاانه ليس حكما مطلقا ، وليس استثناءً ان تجد شاعرا عقائديا يظل متمسكا بعقيدته برغم الالام والاهوال التي يتحملها.
8. وتبين من البحث ايضا ان هناك كثير من الشعر والدواوين التي فقدت وضاعت ، ولو تهيأ للدارسين ان يجدوها لأمكن الخروج بنتائج قيمة ، قد تقلب كثيرا من المسلمات والموازين الســـائدة .

---

[1] انظر بقية القصيدة في المجموع الشعري:16ــ17.

والحمد لله رب العالمين .

المصـــــادر

1.القرآن الكريم

2.الأعلام، الزركلي ،ط1،دار العلم للملايين، بيروت،1980م.

3.أعيـــان الشيعة،محســـن الامـــين العـــاملي(ت1371هـــ)تحقيق حســـين الامـــين،ط5،دار التعـــارف ، بيروت،1400هـ/2000م.

4.الأنساب، للسمعاني(ت562هـ)تحقيق عبد الله عمر البارودي ،ط1،دار الجنان، بيروت،1408هـ/1988م.

بدائع البدائة،علي بن ظافر الاسدي (ت613هـ)،تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم،مكتبـة الانجلـو المصـرية ، القاهرة،1977م.

5.تاريخ الادب العربي ،عمر فروخ، دار العلم للملايين،بيروت(د.ت)

6.تـاريخ الاسـلام، للـذهبي(ت748هـ)تحقيق عمـر عبـد السـلام تـدمري،ط1،دار الكتـاب العربـي ،لبنان،1407هـ/1987م.

7.تاريخ الكوفة،السيد البراقي(ت1332هـ)تحقيق ماجد احمد العطية ،ط1،شريعت،ايران،1424هـ.

8.الجامع الصغير ،للسيوطي(ت911هـ)دار الفكر ،بيروت،1401هـ/1981م.

9.حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة،،للسيوطي(ت911هـ)تحقيق محمد ابي الفضـل ابـراهيم،ط1،دار احياء الكتب العربية، القاهرة،1387هـ/1968م.

10.خـاص الخـاص، للثعـالبي(ت429هـ)شرح مـامون بـن محيـي الـدين الجنـات ،ط1،دار الكتـب العلمية،بيروت،1414هـ/1994م.

11.الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي(ت573هـ)ط1،مؤسسة الامام المهدي،قم،1409هـ.

12.ديوان ابن الرومي،شرح قدري مابو،ط1،دار الجيل،بيروت،1418هـ/1998م.

131.لذريعة من تصانيف الشيعة،اغابزرك الطهراني (ت1389هـ)،ط3،دار الاضواء ،بيروت(د.ت)

14.رجال ابي داودالسجستاني(ت275هـ)تحقيق سعد محمد اللحام،ط1،دار الفكر،بيروت،1410هـ/1990م.

15.رجال النجاشي، احمد بن علي النجاشـي(ت450هـ)تحقيق محمـد جـواد النـائيني،ط1،دار الاضـواء بيروت،1988م.

16.رياض العلماء وحياض الفضلاء، عبد الله افندي الاصبهاني(من اعلام القرن الثاني عشر الهجري) تحقيـق احمد الحسيني، مكتبة المرعشي النجفي ،قم، ايران ، 1403 هـ.

17.سنن ابن ماجه،محمد بن يزيد القزويني (ت 273 هـ)تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي،دار الفكر(د.ت).

18.صحيح مسلم(ت261هـ)دار الفكر ،بيروت(د.ت)

19.الغدير، عبد الحسين الاميني(ت1390هـ)ط2،مؤسسة دار معارف الفقه الاسلامي ،قم،1424هـ/2004م.

20.فهرست الشيخ الطوسي(ت460هـ)تحقيق جواد الفيومي،ط1،مؤسسة نشر الفقاهة،ايران،1417هـ.

21.قاموس الرجال في تحقيق رواة الشيعة ومحدثيهم،محد تقي التستري،المطبعة العلمية،قم،1384هـ.

22.لسان الميزان،ابن حجر العسقلاني(ت852هـ)مؤسسة الاعلمي،بيروت،1330هـ.

23.مرآة الجنان وعبرة اليقظان،اليافعي اليمني المكي (ت768هـ)وضع حواشيه خليل المنصوري،دار الكتب العلمية،بيروت،1417هـ/1997م.
24.معالم العلماء ،ابن شهر آشوب المازندراني(ت588هـ)المطبعة الحيدرية ، النجف الاشرف،1961م.
25.معاهد التنصيص على شرح شواهد التلخيص، عبد الرحيم العباسي(963هـ)تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد،مطبعة السعادة، مصر،1367هـ/1948م.
26.معجم الادباء، ياقوت الحموي(ت626هـ)دار المامون،بيروت.(د.ت).
27.المعجم الكبير للطبراني(ت360 هـ) تحقيق حمدي عبد الحميد السلفي ،ط2،دار احياء التراث العربي ،بيروت(د.ت) .
28.مناقب آل ابي طالب ، ابن شهر آشوب (ت588هـ) تحقيق د.يوسف البقاعي، منشورات ذوي القربى، بيروت ، 1421 هـ .
29.منهاج السنّة النبوية، ابن تيمية (ت661هـ)تحقيق محمود رشاد سالم،مؤسسة قرطبة بيروت،1406هـ .
30.مواقف الشيعة، علي الاحمدي الميانجي،ط1،مؤسسة النشر الاسلامي، قم، 1416 هـ.
31.نسمة السحر بذكر من تشيع وشعر، اليمني الصنعاني(ت1121هـ) تحقيق كامل سلمان الجبوري،ط1،دار المؤرخ العربي،بيروت،1999 م.
321.لوافي بالوفيات، للصفدي(ت764هـ) تحقيق احمد الارناؤوطي وتركي مصطفى،دار احياء التراث، بيروت،1420هـ/2000م.
33.وفيات الاعيان، ابن خلكان(ت681هـ)تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط1،مكتبة النهضة، القاهرة،1948م.
34.يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر، لابي منصور الثعالبي(ت429هـ) تحقيق وشرح محمد محيي الدين عبد الحميد، ط2،مطبعة السعادة ،مصر،1956م.
35.ينابيع المودة، القندوزي الحنفي(ت1294هـ) تحقيق علي جمال اشرف،ط1،مطبعة الاسوة،1416هـ.